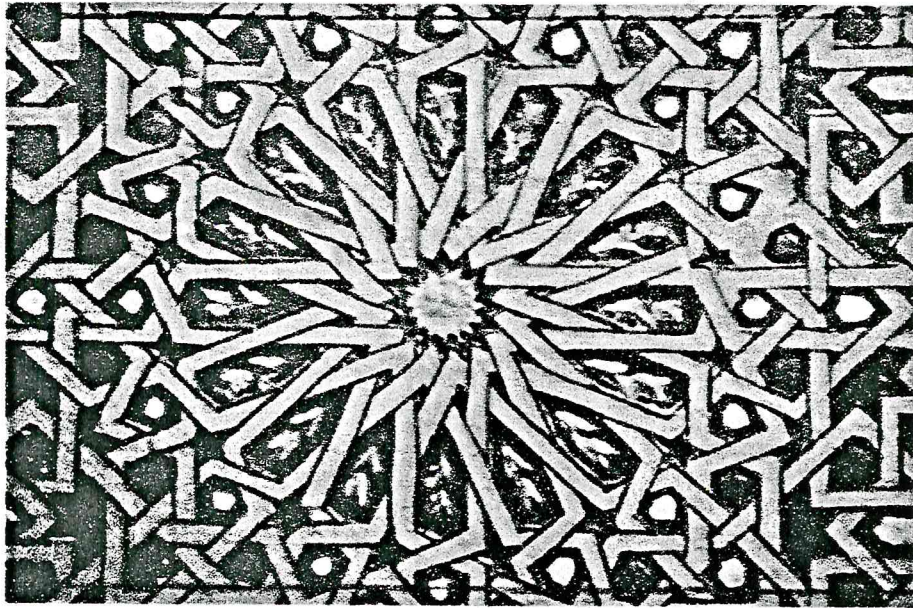


مجلة الأدب واللغات

20

مجلة دولية محكمة تصدر عن كلية الآداب واللغات بجامعة الأغواط / الجزائر



شروط النشر

- تنشر المجلة جميع البحوث والدراسات الأكاديمية المتعلقة بالآداب واللغات: العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية، سواء في ذلك البحوث اللسانية، أم النقدية، أم الأدبية؛

- يُشترط في البحث المقدم للمجلة أن يكون أصيلاً، وغير منشور أو مقدم للنشر في أي دورية أو مجلة وطنية أو دولية؛

- ينبغي أن تُقدّم نسخة ورقية للبحث، مصحوبة بنسخة إلكترونية (على قرص مرن)؛

- ينبغي ألا تزيد صفحات البحث عن 15 صفحة (على ورق A4)، مع ملخص في حدود 06 أسطر باللغة الإنجليزية؛

- تخضع جميع البحوث والمقالات لرأي الهيئة الاستشارية للمجلة؛

- البحوث التي لم تُنشر لا تُردّ إلى أصحابها؛

لمراسلة المجلة:

مجلة الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي جامعة عمار ثليجي الأغواط

طريق غرداية ص ب 37 G الأغواط 03000 الجزائر

الهاتف: 29.93.17.91 (213) الفاكس: 29.93.26.98 (213)

البريد الإلكتروني: s.benali43@yahoo.com
s.benali@mail.lagh-univ.dz

البحوث والدراسات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها

العدد عشرون

ماي

2017

مجلة الآداب واللغات

مجلة دولية محكمة تصدر عن كلية الآداب واللغات بجامعة
الأغواط-الجزائر
تُعنى بنشر البحوث والدراسات اللسانية، والنقدية، والأدبية،
باللغات:
العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية

ISSN : 1112-4644

رقم الإيداع القانوني: السداسي الأول 2017-2514

العدد 20: ماي 2017

فهرس الموضوعات

أدونيس، قراءة جديدة للشعرية العربية

01..... د. سعيد بكير. جامعة حسنية بن بوعلي - الشلف

المقاومة السياسية في أدب الشيخ عبد الحميد بن بايس

16..... الدكتور: زارقة الوكال - المركز الجامعي أفلو - الأغواط

المباحث الدلالية في الدرس البلاغي العربي

26..... د. عالية قري جامعة عباس لغرور خنشلة

العلامة اللغوية والعلاقات الاستبدالية و التركيبية في التراث اللغوي العربي (الجاحظ أنموذجا)

37..... د. ابن شتوح عامر جامعة عمار ثليجي بالأغواط - الجزائر

النص القرآني وانزلاق القراءات الحداثية

50..... د. عبد الحفيظ عبد السلام أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة الأغواط

الاشتغال الدلالي لأصوات اللين في القرآن الكريم

66..... د. إسماعيل زغودة جامعة حسنية بن بوعلي - الشلف - الجزائر

حجاجة المثل في القرآن الكريم

76..... د: إبراهيم ميهوي كلية الآداب واللغات - جامعة الأغواط - الجزائر

ضرورة تقويم التقويم لإنقاذ التلاميذ من "كابوس" و "جحيم" الامتحانات

86..... د. مرجانة رشيد المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

النص الأدبي وفضاءات الهوية والسياق

108..... د: حياة بوخلط - أستاذ محاضر - ب جامعة محمد بوضياف - المسيلة

واو الثمانية .. بين التخريج النحوي وسياقات الاستعمال

122..... د. عبد العليم بوفاتح كلية الآداب واللغات - جامعة الأغواط

ترادف الصيغ الفعلية بين النفي والإثبات

136..... د: خيرة غريبي كلية الآداب و اللغات جامعة الأغواط

فضاء الوطن في الرواية النسوية المغاربية

160..... بحوصي نبيلة، جامعة طاهري محمد - بشار

آليات تعالق المناهج في مقاربة محمد مفتاح للنص الشعري القديم

170..... الدكتور كريع عطاء الله جامعة عمار ثليجي الأغواط

قراءة نقدية موضوعاتية لرواية التبر لإبراهيم الكوني

رخور أحمد . طالب دكتوراه

- 179.....إشراف: أ.د. بريهات عيسى جامعة عمار ثليجي بالأغواط.....
تمظهرات العنف النصي في روايات " بشير مفتي "
- 195.....أ.سامية غشير.جامعة باجي مختار – عتابة.....
- الاستراتيجيات الحجاجية في خطاب الوزير ابن الفرات لمناظرة متى بن يونس
- 208.....أ. يوسف بن أودينة جامعة الدكتور يحيى فارس المدية.....
- أدوات الإبداع الشعري في عيار الشعر لابن طباطبا العلوي
وردة بالي طالبة دكتوراه
- 219.....إشراف: د: أحمد بقر. جامعة قاصدي مرباح ورقلة.....
- رمزية المرأة في كتابات المرأة - ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي أنموذجا
أ. قسمة مصطفى طالب دكتوراه
- 238.....إشراف: أ. د . وثنائي بوداود. جامعة عمار ثليجي الأغواط.....
- الصيغة الصرفية وأثرها في التحليل الدلالي
أ/علي بجاوي طالب دكتوراه
- 244.....إشراف: أ.د. سليمان بن علي. جامعة عمار ثليجي الأغواط.....
- تجليات في الشعر العربي المعاصر - قصيد " سفر أيوب " نموذجا
- 262.....د. ميلود قيديم. جامعة 8 ماي 1945 قالمة.....
- نظرية التلقي في الفكر الغربي ... الجذور والمفاهيم
عيسى العابد – طالب دكتوراه
- 273.....إشراف: د. عبد العليم بوفاتح. جامعة عمار ثليجي بالأغواط.....
- الشعرية الكريستيفية بمقاربة هايدغيرية - نحو فهم تفتو- وجودي لاشتغال النص الإبداعي –
- 290.....د. بن جيلالي محمد عدلان جامعة حسية بن بوعلي، الشلف- الجزائر.....

آليات تعالق المناهج في مقاربة محمد مفتاح للنص الشعري القديم

الدكتور كريم عطاء الله

جامعة عمار ثليجي الأغواط - الجزائر

الملخص :

يطرح المقال إشكالية المنهج الواحد والتعددية المنهجية في النقد المعاصر عموماً ، وعند الناقد المغربي محمد مفتاح خاصة ، ذلك أنه تميز بمشروع نقدي متوازن ورصين طرحه منذ نهاية السبعينيات ووالى الكتابة فيه إلى الآن مما جعل لمشروعه سمات بارزة نستطيع رصدتها متفردة في كتاب أو متفرقة في جملة من الكتب.

والمقال يتعرض لإشكالية التعددية المنهجية وإلى أي مدى استطاع التوفيق بين مجموعة من المناهج قد تتعارض أكثر مما تتوافق وتتنافر أكثر مما تنسجم، وقد لا تجد لها مبرراً إلا في مشروع محمد مفتاح الذي حاول الانفتاح على معطيات الآفاق المعرفية الكبرى لمختلف حقول المعرفة ، ثم رصد مظهرات تطبيقها على النص الإبداعي.

Abstract

This article highlights the problem of choosing the application of one or more methods in the field of contemporary literary criticism in general, and in particular in Moroccan critic "Mohammed Meftah" writing. Because he followed a path of a balanced and sober project which he proposed since the end of the seventies, and has continued to write until this day, which gives his project certain definite characteristics that one can locate them in a book or distributed through several Meftah's books.

The article deals with the problem of methodological pluralism and to what extent it has been able to reconcile a set of approaches that may contradict more than what is incompatible with one another and can cohabit only under the vision of Meftah's project, which is opened on many great cognitive fields to approach the creative text.

ظهرت المناهج الأدبية النقدية من سلالات فكرية فلسفية بالأساس، سواء كانت ذهنية أو تجريبية، واتسمت الفلسفة المعاصرة في كثير من جوانبها بطابع العلم والعلمية، لأن سمة العلم كانت السمة الغالبة على القرون الأخيرة، وتأثير من الروح العلمية، تغلغلت المبادئ العلمية التجريبية في البحث الفلسفي، ومن الفلسفة سرت إلى المناهج النقدية المعاصرة، التي حاولت مقارنة الأدب مقارنة علمية قدر ما يستطيعه المنهج، وقد ما تتحملة النصوص ومنه انصرف النقاد أصحاب هذه المناهج إلى بنية النص دون دلالاته، لأن هذه المناهج إلى بنية النص دون دلالاته، لأن هذه المناهج تستطيع رصد تفصلات البنية، والقوانين التي بها تظهر الشكل الذي خرج به النص، لكن الدلالة تستعصي على الرصد، وتأبى أن تنمط في شكل واحد أو أشكال مقارنة ولذلك عرف المنهج عن مقاربتها في الكثير من تجلياته والحدائثية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، لأنهم في سبيل رصيد البنية لم يصابوا إلى تصور عام نستطيع تعميمه، فالبنية صارت تختلف من نص إلى

نص آخر، بل إن الاختلاف مس النص الواحد، وبالتالي استعصى رصد البنية رسدا منهجيا علميا، يبيح لنا تعميم بعض جزئياته.

ومن هنا دخل التعشق المنهجي حقل الدراسات الأدبية النقدية المعاصرة، هذا التعشق جنى على النص الأدبي جنابة شنيعة مست جوهر عملية الإبداع، بتجسيد القيمة الفنية والانتصاف إلى ظواهر لا تعتبر أدبية بالأساس . وبالتالي فإن المنهج وظيفته الأساسية التي تتمثل في الضبط والتحديد وكشفت هذه الممارسة « عن أعطاب هذه التحديدات القبلية وعن تنكرها لمسعاها الأول، أي فتح النصوص ورصد آلياتها والإنصات لعناصر بنائها، فقد أصبح هذا التقليد حجابا يحول دون الاقتراب من النصوص، بل ويسهم في تعنيفها وتكريس البعد عنها»¹.

لأن سلطة المنهج في صرامتها ألغت خصوصية النص التي يستمد منها سلطانه وقوته ومبرر بقائه، وباتت الخلفية الفكرية للناقد هي التي توجه المنهج بدل العكس، ولذلك اتسمت كثير من هذه التطبيقات - على الأقل في العالم العربي- بـ«محنة الخلفيات والإيديولوجيات التي انتظمت منظومتها الفكرية العربية في القرن العشرين والواحد والعشرين».

² فالناقد أدونيس في مقارنته للنص الصوفي قام بعملية تحيين كبرى مست النص الصوفي وجوهر التجربة الصوفية، ومسخت خصوصية هذا الخطاب في مقصديته وأخرجها من إسلاميتها المؤمنة إلى إلحادية حائرة. كل ذلك لأنه يريد أن يحكم قناعاته الشخصية بدل تحكيم المنهج، وكذلك الأمر في أكثر المقاربات التي حاولت الاقتراب من النص الصوفي كمقاربات خالد بلقاسم وعبد الحق منصف ويوسف سامي اليوسف.

ومن هنا حق المنهج بكثير من المزالق التطبيقية جعلت من مسألة المقاربة خطرا على المنهج أكثر من خطورتها على النص الإبداعي. لأن المنهج ليس مفهوما نظريا منعزلا بل هو ممارسة أولا وأخيرا، ولا يستمد المنهج قوته إلا إذا مورس بحرفية وإتقان وأمانة، تجعل من نتائجه ثمرة نقدية تصنيف إلى النص ولا تجرده من خصوصيته وتجنبي عليه . ولذلك فالمنهج « ليس قالباً جاهزاً في حرفيته وتفاصيله، المنهج مفهوم أو مجموعة من المفاهيم يتطلب مجرد تبنيها مقدرة شخصية، وجهدا ثقافيا هاما كما أن ممارسة هذه المفاهيم ليس مجرد تطبيق، بل هو إعادة إنتاج لها قابلة للتبلور والتميز، وخاضعة في تبلورها وتميزها لعلاقتها بالموقع الفكري الذي منه تمارس علاقتها بموضوعها وبالوضعية الثقافية والاجتماعية التي تشكل حقل ممارستها»³.

فالمنهج لا يأخذ مكانته إلا كمنهج إلا إذا ظهر ذلك في عملية الممارسة، والممارسة لا تكون إلا نتاج شخصية الناقد المتمرس الذي يستطيع أن يجرد المنهج من شوائبه النظرية ويعرف مكن قوته وجذور امتدادته حتى يكون فعالا في مقارنته، وناجعا في ملاسته للنص الإبداعي فالخبرة والثقافة شرطان ضروريان يتسم بهما الناقد الأكاديمي وبدون ذلك يغدوا تسليط المنهج عقبا متعسفا، يسلب النص الإبداعي جوهر تفرد، وبدل بعث النص ومحاورته يقوم المنهج بقتل النص وطمسه، والتقليل من قيمته.

ومن النقاد الذين شعروا بأهمية المنهج وأهمية شخصية الناقد الممارس غير المتحيز، كان محمد مفتاح في ممارسته النقدية مثالا صالحا، للناقد الذي يوظف المنهج توظيفا مثمرا يضيف به ويملور أطرا عميقة تتيح تعميق نظريتنا إلى النص الإبداعي القديم تعميقا لا يحجب جمالياتها ولا يلغي الذائقة العربية، التي سرت إلى نفوس متلقي هذا الأدب، بل يرصدها وينقيها ويعمق الإحساس بهذه القيمة ويؤطرها وضع أيدينا على مكامن القوة ومواقع الجمال.

¹ - خالد بلقاسم : الكتابة والتصرف عند ابن عربي، دار توبقال، المغرب، ط1، 2000، ص17.

³ - يمني العيد: في معرفة النص ، دار الآفات الجديدة، بيروت، 1983، ص124.

كان مُحمَّد مفتاح على وعي كبير، بل على قناعة بأن المنهج الواحد لا يمكنه استكناه النص الإبداعي، فهذه التعددية لا صَحَّ أن نقابلها بأحادية المنهج.

النص الإبداعي بنية ومضامين ذاتية وذهنية وفلسفية ونفسية واجتماعية، بل يصبح في مرحلة من المراحل من الصعب علينا التمييز بين البنية والمضمون إذ يغدوا الشكل جزءا من المضمون والمضمون وبعض تجليات الشكل، والحالة هذه لا يستطيع المنهج مقارنة هذه التشعبات ويصبح الإبداع متفلتا مستعصيا على كل عملية رصد، بل يعلن النص تمرده على المنهج الذي يسعى إلى تدجينه، فالنص الإبداعي يتأني ويتمتع دائما وما تقاربه جزء يسير في جانب ما لم نستطع مقارنته، ولذلك سعى مُحمَّد مفتاح في سبل أخرى هي سبيل توظيف جملة من المناهج والنظريات قد تكون أدبية أو فلسفية أو لغوية أو اجتماعية أو نفسية، كل ذلك ليستطيع رصد العملية الإبداعية لأن أسس الإبداع تبدأ من النفس أولا، وبالتالي فقد طرح مُحمَّد مفتاح ما أصبح يعرف بمشروع مُحمَّد مفتاح الذي هو أشبه بـ (مغامرة أوديسية كبرى)¹.

ومشروع مُحمَّد مفتاح نبع من إنفتاحه على القراءات المختلفة العميقة في شتى ميادين المعرفة من أدب وفلسفة وموسيقى وعلم النفس وعلم الاجتماع هذا التنوع أتاح له سعة في النظر وعمقا في الطرح، ورصدا كاملا وتاما للعملية الإبداعية، وبالتالي تكوين مفهوم متوازن عن جوهر العملية الإبداعية والأسس التي تحكمها هذه المقاربة التوفيقية (تتطلب ثقافة واسعة ومعرفة كبيرة بالخلفيات النظرية والفلسفية للمفاهيم والتصورات المختلفة)².

ولقد تميز مشروع مُحمَّد مفتاح بجملة من الخصائص يمكن إيجازها فيما يلي:³

1- مبدأ الاستقرار المنتظم:

بدأت ملامح مشروع مُحمَّد مفتاح في التبلور نهاية السبعينيات في رسالته الجامعية « التصوف في الغرب الإسلامي ».

ثم كتاب « في سيماء الشعر القديم » سنة 1982.

ثم كتاب « تحليل الخطاب الشعري » سنة 1985.

ثم كتاب « دينامية النص » سنة 1987.

ثم كتاب « مجهول البيان » سنة 1990.

ثم كتاب « التلقي والتأويل » سنة 1994.

ثم كتاب « التشابه والاختلاف » سنة 1996.

فالانتظام في ظهور أعماله يدل على السير المنتظم لأعماله وبالتالي هناك هدف وغاية يتبلور حولها هذا المشروع، فالمشروع واضح وتحقيقه هو الذي يكفل هذا الانتظام وهذا الدأب، والمشروع تنجزه مسيرة عمر كامل ومكتبة كاملة من المؤلفات.

2- مبدأ الجمع بين الممارسة النظرية والتطبيق:

يقوم مشروع مُحمَّد مفتاح على استخلاص المهم مما يقرأ فيما يتعلق بالنظريات العلمية الأجنبية خاصة، وهو متابع لما

- بشير القمري. قراءة مفتاح، مجلة الآداب، بيروت، العدد 3/4، 1998، ص: 106.¹

- نفس المرجع والصفحة.²

³- أحمد بو حسن: المشروع النقدي لمحمد مفتاح. http://www.aljabriabed.net/n20_10bulisan.htm

يستجد في الغرب في حقول المعرفة المختلفة والمتنوعة.

وفي جانبه التطبيقي نجد محمد مفتاح ينصرف بعد عرض النظريات إلى إسقاطها على النماذج الإبداعية، التي انتقاها ولا يخلو له كتاب من هذه الشائبة (النظرية/التطبيق).

3- مبدأ التناسل :

ونقصد به تناسل أعماله من بعضها فكل كتاب يؤسس للكتاب الذي يليه، فكتابه « في سيمياء الشعر القديم » تناسل من دراساته السابقة عن التصرف الأندلسي والمغربي إذ لم يخرج في هذا الكتاب عن النص الإبداعي الأندلسي الذي رصده لقصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس وفي كتابه الآخر «تحليل الخطاب الشعري » فيستعرض مختلف النظريات اللسانية والسميائية ليكشف عن جانب من مشروعه من خلال قصيدة ابن عبدون الأندلسي في رثاء دولة بني الأفطس...

4- الفرضية الأساسية التي تنظم مشروعه:

الفرضية المركزية الكبرى في مشروع محمد مفتاح تقوم على فكرة الدعوة إلى الإتحاد في وجه العواصف التي عصفت بالوجود الإسلامي في الأندلس ووصل تهديدها إلى بلاد المغرب وهو عبر تحليلاته واستخدامه المناهج المختلفة

يصل بنا إلى هذا النتيجة عبر الموازنة بين الثقافة المغربية للبرهنة على مجموعة هذه الفرضيات.

- التشاكل والتباين والتناص.

- نمو النص الشعري عبر مسار النص الصوفي وصراعية النص القصصي، وإنسجامية النص القرآني.

- التفاعل الإستعاري من نظام الجملة إلى النص ثم السياق.

- الضروريات البشرية من حياة وموت وجنس ودين....

5- الانتماء والترجيح:

يقوم محمد مفتاح باستعراض النظريات المعاصرة خاصة في مجال اللسانيات والسميائية والبلاغة والفلسفة والبيولوجيا والفيزياء والمعلوماتية والرياضيات ولا يهمل الاختلاف بينها إنما يهمل صياغة مفاهيم وبنائها لتستجيب لمتطلبات تحليل الخطاب في أشكاله المتنوعة.

أما الترجيح فيقوم به عن تبصر دقيق، يعي المفاصل التي تصلح فيها هذه النظريات لتغرس في جسد الخطاب العربي المراد درسه. وهذا ما يجعله يرنح جانبا عن جانب تبعاً لمدى صلاحيته للممارسة النقدية.

6- القراءة المضاعفة:

¹ - محمد مفتاح : في سيمياء الشعر القديم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص 09.

يرأى محمد مفتاح بين النظريات الأجنبية والكتابات العربية، فالنظريات الأجنبية تعطي الإمكانات النظرية الجديدة التي يمكن استثمارها، أما الكتابات العربية فيقرأها في تاريخها ليحدد بنياتها ويقف على حدود إنجازاتها. ليعرف ما هو مستمر مما هو آتي وتاريخي وهكذا كانت نتائجه دائماً تخرج من غربال النظرية والتدقيق. وكل هذه المؤشرات جاءت لتثبت مقدرة الخطاب الإبداعي العربي على استيعاب النظريات الأجنبية وعدم الضيق بها، بل على العكس، إنه كلما كثرت الممارسة كلما أفصح النص العربي على نفسه أكثر. والدليل هذه الممارسات التي قام عليها مشروع محمد مفتاح.

* أحادية المنهج أم تعدديته؟.

منذ ظهور الكتابات الأولى لمحمد مفتاح، انحاز إلى تعددية المنهج ولم يلتزم بأحادية المنهج كما فعل كثير من النقاد المعاصرين، فقد استوحى جملة من المناهج دفعة واحدة، فقد لاءم بين اللسانيات والسميائيات ودراسات الإيقاع العربية والفرنسية ونظرية الشكل الهندسي ونظرية الذكاء الاصطناعي، ونظرية التواصل والعمل، والنظريات البيولوجية إضافة إلى الاتجاه البلاغي القديم والاتجاه الأوربي الحديث.

وهذا ما جعل بعض النقاد يسمونه بالتلفيق والانتقائية يسيء إلى الأكاديمية عند الكثير من النقاد « فالنتيجة التي ينتهي إليها هذا النزوع إلى التلفيق الناتج عن الانتقاء والبحث عن التوفيق والجمع والرغبة في الإحاطة والشمول هي نسق كل مفهوم نسقي للنقد بكل تصور نظري ذي بعد منهجي واضح، أنتج في آخر المطاف ممارسات ترجع بالنقد إلى بداياته¹ ».

لكن محمد مفتاح ليس الناقد الوحيد الذي عمد إلى مبدأ تكامل المناهج، فالتكاملية هي القدرة على إستكناه مكونات النص الإبداعي وتتبع مسارته، إذ المنهج الواحد لا يستطيع الإحاطة بكل قوانين وتجليات الإبداع، ولقد مارس هذه التكاملية كثير من النقاد العرب على رأسهم عبد الله الغذامي وأحمد البيوري وعبد الملك مرتاض في أكثر أعمالهم وعيا منهم بمحدودية المنهج الواحد وقصوره عن كشف وجود الإبداع داخل النص الإبداعي.

لقد كان محمد مفتاح على رعي كبير بسلطة العلم « ليس انتصار العلم هو ما يتميز القرن التاسع عشر، بل انتصار المنهج العلمي على العلم ذاته² ».

فما نراه اليوم من اندفاع محوم في حقول المعرفة العلمية والإنسانية هو اندفاع المنهج الذي تقوم عليه هذه العلوم. وهو ما أصبح معه العلم مرتبطاً بفكرة المنهج الذي هو في أساسه تقنين وتوجيه للبحث نحو غايات يحددها المنهج .. بمعنى إن الظاهر سواء كانت علمية أو إنسانية، فإنها تخضع لسلطة المنهج الذي يرسم لها الغاية التي يحددها سواء تماشت مع تلك الظاهرة أم خالفتها والمأساة تكبر حين يسلط المنهج على العلوم الإنسانية والأدب من ضمنها، ذلك أننا نخلق اغتراباً بين النص والمنتقد وبالتالي فجوة كبيرة بين القارئ والنص، فالمنهج « وليس ذلك إلا لأنها افتقدت معاً علاقتها بالكينونة الأصلية للأشياء، إن الحداثة في حد ذاتها نسيان لتلك الكينونة وهوامشها وأعماقها³ ».

هذا الشرح هو الذي دفع بمحمد مفتاح وغيره من النقاد إلى الجمع بين مناهج عدة حتى لا ينجني على النص الإبداعي فتكليف المناهج خير من تكليف النصوص، لأن المنهج هو الذي يفترض به أن يخدم النص لا العكس.

1- محمد الدغمومي: نقد النقد، ص 323.

2- عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص 243.

3- المرجع نفسه، ص 245.

لكن للأسف أصبح النص في أيدي بعض النقاد هو الذي يخدم المنهج، وهو الذي يكيف ليوافق المنهج، وصار المبدع منساقا في الكثير من الأحيان إلى مراعاة المنهج في عملياته الإبداعية. إذن فالتعددية المنهجية لها ما يبررها عند النقاد العرب في سبيل حفظ خصوصية النص الإبداعي. ومنذ دراساته الأولى تفتن محمد مفتاح إلى الأمر وممارسه بجرأة جعلت كثيرا من النقاد يلحقون به تهمة خيانة المنهج. فمنذ كتابه « في سيمياء الشعر القديم » الذي رصد فيه أربعة مناهج (الشعرية العربية والغربية، والسميائية والتداولية والفيلولوجي) حيث استثمر معطيات الدرس العربي واستثمر الإسهامات الغربية المتمحورة حول بنيات الخطاب الأدبي، ونظرا إلى تفاعل مستويات العناصر المنهجية في قصيدة أبي البقاء الرندي الأندلسي.

وفي هذا المقال سنعرض بعض التفاصيل والتشريح للمنهجية التي اعتمدها في هذا الكتاب، بغية رصد مظهرات المنهج عنده نظريا وتطبيقيا.

أول ما ميز الكتاب هو الروح التعليمية، والتعليمية تقوم على الدقة والوضوح والعمق ورصد الظواهر بغية التعديد لها إن أمكن، ذلك أن المؤلف منذ السطور الأولى يخبرنا إن هذا الكتاب في واصله مجموع محاضرات أعدت لتلقى على طلبة السنة الرابعة الجامعيين.¹

وأشار منذ البداية إلى أن هذه القراءة ستزاج بين الدرس العربي النقدي والدرس الغربي السيميائي، لتحقيق دراسة تعددية وأشار منذ البداية إلى العيوب التي يتصف بها الدرس العربي والدرس الغربي، مما يحول دون استثمار المفاهيم استثمارا موجبا، وهذا ما دعاه إلى المزوجة بين الدرسين.

وليست القراءة المتعددة بمنجاة من المزالق والمخاطر كما يتوهمها البعض، «إذ تتطلب من منجزها المشاركة في كثير من العلوم».²

وهذا ما يصعب تحصيله ووجوده عند كل ناقد وبذلك فالإطلاع الكثير ملزم لكل ناقد يحاول ممارسة التعددية المنهجية. وهذا ما جعل المسؤولية كبيرة بالنسبة إليه ولهذا وجد نفسه ملزما بأن يقسم كتابه قسمين: قسم نظري وقسم تطبيقي وقد جرى بعد ذلك في كل كتبه على هذا النمط.

في القسم الأول من الكتاب قرأ المؤلف القصيدة في ضوء معايير عصرها أي المعايير النقدية المستخلصة مما وصل إليه الدرس العربي البلاغي في العيون من مؤلفاته حيث أقر بأن الرجوع إلى هذا الدرس العربي البلاغي في العيون من مؤلفاته حيث أقر بأن الرجوع إلى هذا الدرس ضروري لاستغلال ما يصلح في سبيل رصد هذه التجربة.³ وطرح جملة من المفاهيم كانت كالتالي:

1- الفهم بالموازنة :

وهو قراءة الشعر بالشعر حين تجمعها وحدة الموضوع والظرف ورثاء المدن والدول اشترك فيه كثير من شعراء الأندلس كابن الأثير، وابن عبدون.. « فالتراث يفسر بعضه بعضا ».⁴

2- معايير الشعر :

¹ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 6.

² - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 7.

³ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 27.

⁴ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 28.

استثمر محمد مفتاح المفاهيم التي طرحها حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وما طرحه أبو البقاء الرندي في كتابه الوافي في نظم القوافي هذه المفاهيم ركزت على تقسيم الشعر العربي إلى قصائد ومقطعات وما يتصف به كل قسم، وركز على فكرة المطلع وحسن التلخيص والاختتام.

3- تطبيق المعايير :

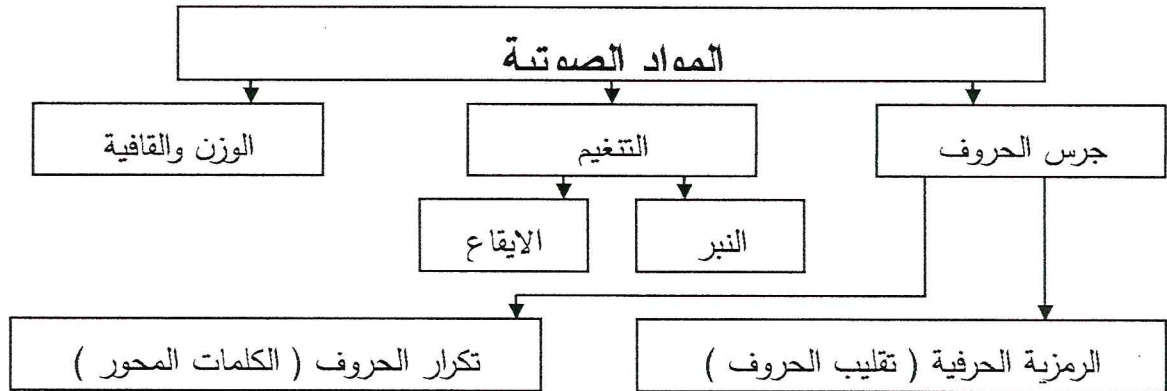
وفيه رصد إلى أي مدى استطاع الرندي الوفاء بهذه المعايير لتصل عبر جملة من التطبيقات إلى أن بناء القصيدة « جاء خاضعا لتقاليد الشعر العربي الجيد المجمع عليها ».¹ أما من حيث بناء البيت الواحد فقد خضع لجملة من المقاييس النقدية القديمة كالجزاز والتجنيس والتناص، والتماثل والوضوح والغموض والتعقيد وقد تحقق أكثر ذلك بنسب مختلفة كتحققه في أكثر من القصائد العربية النموذجية . بعد ذلك عرض المؤلف إلى الدرس الغربي ليقرا القصيدة في ضوء المناهج الحديثة: ووضعنا تحت عنوان كبير هو²:

عناصر التحليل :

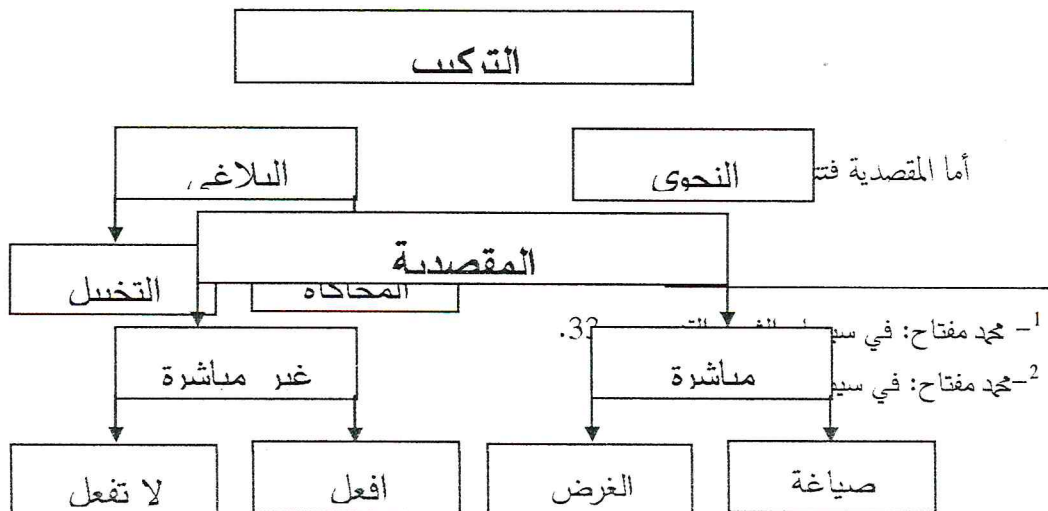
وأشار فيه إلى أن القصيدة بنية تتكون من عناصر هي:

المواد الصوتية والمعجم والتركيب والمقصدية.

وكل عنصر من هذه العناصر الأربعة يتفرع إلى تفرعات أخرى كثيرة:



أما التركيب فيتشكل كالتالي:



أما المقصدية فتتفرع إلى:

¹ - محمد مفتاح: في سبيل...

² - محمد مفتاح: في سبيل...

مباشرة

أما المعجم فلا يتفرع إلى وحدات لأنه يتعلق بمعنى المفردة، وهو معنى يكاد يظل ثابتاً في مختلف أوضاع تركيبه. في مبحث المواد الصوتية استثمر معطيات الدرس العربي كما ورد في الخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي وكتابات إبراهيم أنيس في موسيقى الشعر، كما لم يهمل آخر هذه التظاهرات في الدرس الغربي مثل يوري لوتمان في كتابه « بنية النص الفني ».

وفي مبحث المعجم بحث خصوصية الكلمة الشعرية عند العرب القدامى ليفرقوا بينها وبين الكلمة العلمية والكلمة السطحية ووضعو لذلك شروطاً تجدها مبسطة في الكتب النقدية والبلاغية، ثم عرض مفهوم الكلمة الشعرية في الدراسات الحديثة ليخلص إلى أن التركيب هو الذي يعطي للكلمة شعرية، وعرض بإسهاب إلى التركيب النحوي والتركيب البلاغي وهو في كل ذلك يجمع بين معطيات الدري العربي والغربي.¹

وفي مبحث المقصدية عرض مقصدية المتعة الخالصة ومقصدية المنفعة المباشرة « المقصدية إذن كيفية التعبير والفرض المتوخى وهي البوصلة التي توجه تلك العناصر وتجعلها تتضامن وتتضافر وتتجه إلى مقصد عام. فالمقصدية تحدد اختيار الوزن والألفاظ الملائمة، وتركيبها بطرق معينة لتؤدي المعنى العام المتوخى »².

وهذا ما يحدد لنا مفهوم الملاءمة بين شكل القصيدة ومضمونها وبين مقصديتها، فكما توجه الشكل والمعنى إلى تحقيق المقصدية كنا أمام قصيدة إستوفت الشرط الكامل لموضوعها.

في القسم الثاني من الكتاب حاول محمد مفتاح تطبيق معطيات القسم الأول يرى مدى ما تحقق منها في القصيدة، حسب النظرية التي وصل إليها عبر جمعه بين الدرس العربي والدرس الغربي، فأرجع القصيدة إلى قطب معنوي وحيد هو: «الدهر / الإنسان. والذي تفرع عنه محور ثان هو: الدهر — الإنسان / الإنسان وكل منها يحتوي على تقابلات فرعية أخرى

والتقابل الأساسي أضفى على القصيدة جواً مأساوياً من بدايتها إلى نهايتها»³.

فالدهر هو المحرك للإنسان ضد الإنسان، وأفعال الإنسان ضد الإنسان تجليات لانتقام الدهر، ومأساة الإسلام في الأندلس من صنع الدهر المتمثل في الإنسان المسيحي.

فهناك توتر نتج عن المقابلة بين الفاعلين العاملين هذا التوتر انتظم الأساليب في تجلياتها الاستعارية والتشبيهية وبين الضمائر في تظاهراتها، ثم يقفز هذا التوتر لينتظم الدلالة العامة للقصيدة عبر بنياتها الثانوية الشكلية والمعنوية. والمتأمل في منهجية محمد مفتاح في هذا الكتاب الأول وهالة يجد ما يشبه الانقطاع أو التناهي بين الجزء النظري والجزء التطبيقي، ففي الجانب النظري يحشد المؤلف ترسانة من النظريات المختلفة علمية وفلسفية وأدبية... لينشئ كيانه يتوخى البنية بالأساس أو ما أصبح يعرف بعلمنة البنية، ولا علمنة بدون منهج إذ (لا يمكن أن يستقيم للبحث العلمي سير)⁴.

¹ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 36.

² - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 69.

³ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 231.

- الشاهد البوشيخي. مصطلحات النقد العربي، دار القلم، القاهرة، ط 1، 1993، ص: 22. ⁴

أما الجانب التطبيقي فتراه يتجه إلى رصد نواة تقوم عليها القصيدة بناء ومعنى وتميل إلى الدلالة أكثر مما تميل إلى البناء، ولعل هذا ما جعل الدارسين يرون في ذلك فجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق، (فهذا التراوح بين الاهتمام بالبنية حيناً وبالدلالة والمقصدية حيناً آخر جعله غير مستقر لا في البنيوية ولا في الاجتماعية ولا في منهج قديم ولا في منهج حديث)¹.

ومحمد مفتاح ليس الوحيد الذي يظهر لديه ذلك، ذلك أن المنهج يتيح من الإمكانيات النظرية ما لا يتيح من الأدوات الإجرائية، وهذا ما يبرر اللجوء إلى جملة من المناهج يمكن بها رصد تجليات الفضاء الإبداعي . والميزة التي تميز تطبيقات محمد مفتاح هو محاولة حصر فضاءات النص الإبداعي في نواة واحدة تتناسل منها مظهرات، القصيدة بناء ومعنى، وهذا عمل منهجي أكاديمي شاق، يتطلب نظرة عميقة تسبر غور العمل الأدبي بإرجاعه إلى نواة وحيدة هي أساس تكوينه ونحن قد نوافقه أو لا نوافقه، لكننا نحترم وجهة نظره التي أقامها وفاء للمنهج الذي اختطه لنفسه ولم يتناقض معه في أي عنصر من عناصر تكوينه، إن التناسق والانسجام هما مبرر مشروع محمد مفتاح وحيث لا يوجد انسجام ولا يتحقق تناسق، فإن مل منهج لا يصبح له مبرر إلا سلطة المنهج المفترقة إلى التناسق والانسجام.

١ - محمد بلقاسم . نظرية مفتاح في تحليل الخطاب الشعري وتطبيقها، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد 6، 2007،